

موزاييك



د. خالد الجابر



عبدالعزیز ناصر!

برحيله، فقدت الساحة الثقافية والفنية في قطر أحد أبرز روادها وصناع حدائتها، المؤرخ، الأديب، الكاتب، الفنان، الموسيقار، المؤلف، اللحن. رحل عبدالعزیز ناصر بجسده وبقيت روحه العطرة تسكن ذاكرة وأفئدة الأجيال التي عاشت تستمع إلى إبداعاته ولوحاته ونقوشه الفنية، التي جسدها بالكلمة والنغمة، تستدعي همسات وخلجات الماضي، وتتفاعل مع اشكاليات وتدايعيات الحاضر، وترسم أمنيات وأشواق المستقبل. لقد كان الفقيه في مهمة قام بتأديتها على أكمل وجه لقد عمل بصمت وأبغع بإنجاز ورحل بهدوء وسلام.

إنها شهادة للتاريخ وللأجيال القادمة، لقد كانت أعمال الراحل عبدالعزیز ناصر، أشبه بمشروع توثيقي شامل على مدى أكثر من 50 عاما للإرث الجماعي، تؤرخ لحقب متعددة وتنمائها وتحكي عن سياقات مختلفة ومغايرة وأزمنة وأمكنته متباينة ومتعددة، لحقبة الغوص وعذاباته وأهواله الصعبة، لترديد الترانيم فوق رمل البحر الحارقة للعائدين من الأسفار الطويلة في سفنهم شبه المحطمة، لاهازيج وشجون الفرجان المتناثرة في القرى القديمة الممتدة على ضفاف الخليج من الكويت إلى البحرين، وقطر، والإمارات وصولاً إلى ساحل عمان، إلى صراع الجغرافيا والزمن والهوية والتراث للأصالة والمعاصرة، للذاكرة التاريخية المنسية، للخراعات السياسية الإقليمية، للقضية العربية والإسلامية الأولى، للنكسة والهزيمة للمشروع القومي، للعواصم العربية والإسلامية الحزينة، لازمة الإنسان العربي الثائت، للحاضر المتردي، وللغد الضبابي الغامض. تمثلت إبداعاته في "أحبك يا قدس"، "عربية يا قدس"، "يا قدس يا حبيبتي"، "مرحبا يا عراق"، "أه يا بيروت"، "عرس الشهيد"، "ملهمة القلوب"، "محمد يا رسول الله"، "الله يا عمري قطر"، "النشيد الوطني"، "ولهان ومسير"، "أم الحنايا"، "العابود"، "الفرقة"، إلى اليوم السياسي "تمعتان" وغيرها.

لقد فقدنا رمز وقامة وطنية لا تعوض ولن تتكرر، شخصية رائعة وفريدة من نوعها ستبقى خالدة في ذاكرة الأجيال. إن تكريمه واجب، والعناية بإرثه فرض عين، وكمن نتمنى أن يتحول بيته ومجلسه الذي كان ملتقى للجميع المثقفين والفنانين والأدباء والكثاب والنقاد إلى متحف يشمل جميع أعماله وإبداعاته وأدواته، وعزائنا في المبدعين الآخرين أن يكملوا المسيرة التي سطرها الراحل في تاريخ الوطن ولا تتعطل مع رحيله! إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وأنا على فراقك يا عبدالعزیز ناصر لمحزونون، إننا لله وإننا إليه راجعون.